الْحَمْدُ لله، الْحَمْدُ للهِ حَمْداً لاَ مُنْتَهَى لِحَدِّهِ، وَلا حِسَابَ لِعَدَدِهِ، وَلا انْقِطَاعَ لأمَدِهِ، وَلاَ آخِرَ لِأبده، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأرضُ أرضهُ، والخلقُ خلقهُ، والأمرُ أمرهُ، ونحن ملكهُ وعبيده، وما بنا من نعمةٍ فمن فضلهِ وجودِه .. {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} .. وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله، ومصطفاه وخليله، البدرُ جبينُهُ، واليمُّ يمينُهُ، والإيمانُ سفينُهُ، والحنيفيُةُ دينُهُ، والحقُ جلَّ وعلا ناصرُهُ ومُعينُهُ .. صلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ وأنعمَ عليهِ، وعلى آله الطيبين، وصحابته المكرمين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد: فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله؛ فاتقوا الله تعالى حق تقواه، واستمسكوا من الدين بأوثق عراه، واحذروا أسباب سخط الجبار؛ فقد أعدَّ النار لمن عصاه، واعلموا أن العز كله في طاعة الله، وأن الشقيَّ المخذول من استسلم لهواه، وانقاد لشيطانه وشهوات نفسه فأردياه .. {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}..

معاشر المؤمنين الكرام: اللهُ جلَّ جلالهُ بحكمته البالغة, ومشيئتهِ النافِذة، خلقَ الانسانَ ضعيفاً، محدود القدرة، وجعله محتاجاً من كل ناحية، وجعلَ هذه الاحتياجات ضروريةً مُتكررة، فهو في كلِّ لحظةٍ من لحظاتهِ لا ينفكُ أن يكونَ محتاجاً حاجةٍ ماسة إلى خالقه ومولاه، فإن لم يرجِع إليه اختياراً، رجعَ إليه اضطراراً، وإن لم يتذكرهُ إيماناً، سيتذكرهُ قهراً، وإن لم يناجهِ في الرخاء، ناداهُ في الشدَّة .. بينما الله تبارك وتعالى يناديه: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} .. {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ}، فهو سبحانه الملاذ والملجأ, ولا ملجأ منه إلاَّ إليه، وهو سبحانه المغيثُ لعباده, ولا مُغيثَ سواه، {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ}.. {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ}..

تصوروا يا عباد الله: لو ظهر للإنسان حيوانٌ مفترس، وتيقن الخطر الشديد، فلا شك أنه سينطلق فاراً بأقصى سرعته .. ولن يتوقف حتى يأمن على حياته .. فتأملوا جيداً قول ربكم: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ}.. وما هو الفرار يا عباد الله؟ .. إنه الهروب من الخطر, وبكل ما أوتي الإنسان من قوة, طلباً للنجاة، فكل خطرٍ لا تستطيعُ دفعه عن نفسك, فليس لك إلا الفرار.. يقول ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "اهربوا أيها الناس من عقاب الله, إلى رحمته، وذلك بالإيمان به، واتِّباعِ أمره، والعملِ بطاعته" .. وإلى أين يفرُّ المرءُ من الله: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا}، {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} .. ولم لا نفرِّ إِلَى اللَّهِ .. والخطرُ عظيم، والخطبُ جلل: {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}.. {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}.. {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.. {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} .. ولم لا نفر إِلَى اللَّهِ .. والفتن شديدة، والصوارفُ كثيرة، والدنيا فتَّانة غرَّارة، والشيطانُ عدوٌّ مُضلٌ مُبين، والنفسُ أمارةٌ بالسوء .. و{إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}.. ولم لا نفر إِلَى اللَّهِ .. فمن خاف أدلج، أي خرج ليلاً حتى لا يراه العدو .. ومن أدلج بلغ المنزل، يعني وصلَ إلى برِّ الأمان، ألا إن سلعةَ اللهِ غالية، ألا إن سلعة اللهِ الجنة .. يعني أن الأمرَ يستحقُ كل ذلك .. فلم لا نفرُّ إِلَى اللَّهِ يا عباد الله.. والدنيا دارُ غرورٍ ووبال، كثيرة التقلّبِ والانتقال، سريعةُ الانقضاءِ والزوال, أفنت السابقين, وستعود على الباقين، من ركن إليها صرعته, ومن وثق بها خدعته, ومن تبعها أضاعته, ومن رفعها وضعته، ومن وصلها قطعته، ومن اشتراها باعته، فالسعيد حقاً من تركها قبل أن تتركه, {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَن تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.. {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. فمهما طال الإمهال، فلا بد من نهاية الآجال، ومهما امتدت الأعمار فستأتي ساعة الاحتضار، فاليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل، والكيِّسُ من دانَ نفسَه، وعمِلَ لما بعد الموت، والعاجِزُ من أتبعَ نفسَه هواها، وتمنَّى على الله الأماني .. {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} .. {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. فما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه حجابٌ ولا ترجمان، فينظرَ عن يمينه وعن شمالهِ فلا يرى إلا ما قدمَ من عمله، وينظرَ أمامهُ فلا يرى إلا النارَ تلقاءَ وجهه، فاتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. فـ"إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفتلته" .. {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}.. {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}.. لقد أملى لله لفرعون أربعين سنه: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}.. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. فلو رأي الانسان ما بقي من أجله, لزهِدَ في طولِ أملهِ، ولأقلعَ عن خطأهِ وجهله، ولرغِبَ في إصلاح نفسه وتزكية خلقه وعملهِ.. {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} .. بارك الله ..

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى،

أما بعد: فاتقوا عباد الله وكونوا مع الصادقين ....

معاشر المؤمنين الكرام: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) دعوةٌ من الله للرجوع إليهِ, والإنابةِ إلى سعة رحمتهِ ومغفرته .. ومن لك أيها الإنسان إلا الله .. من يُنجِّيك مما تخافُ إلا الله .. من يحققُّ لك آمالُك إلا الله .. {أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}..

فلا والله.. لا أكرمَ ولا أحلمَ من الله، ولا أرأفَ ولا أرحمَ من الله، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ, لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ.. وففي الحديث القدسي الصحيح: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يا ابنَ آدمَ، إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لكَ على ما كان فيكَ ولا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ, لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ, ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لكَ (ولا أُبالِي) .. يا ابنَ آدمَ, لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا, ثُمَّ لَقِيْتَني لاتُشْرِكْ بِيْ شَيْئَا, لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ)، فمالكم من إله سواه، {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ}، {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) .. فكل من تخافُه تهربُ منه بعيداً .. إلا الله لا تهرب منه إلا إليه .. {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ} .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) .. فها هو يناديكم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.. وفي الحديث القدسي الصحيح: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. وحركوا الهِمم، وشدُّوا العزائم، فمن اجتهدَ ورفعَ نفسهُ, علتْ وارتفعتْ، ومن قصَّرَ بها ووضَعَها, سَفُلَتْ وانحدرتْ .. {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}.. {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}.. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. ونافسوا في الخيرات تكونوا من أهلها، وأكثروا من الصالحات تألفوها وتتعودوا عليها، ولازموا الطاعات تُعرفوا بها وتنسبوا إليها .. {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}.. {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُون} .. (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ).. {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ}.. {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}..

فاتقوا الله عباد الله، وتقربوا إليه بأقصى ما تستطيعون، واعلموا إن عظيم الهمةٍ لا يفكرُ بملء وقته بالحسنات فقط .. وإنما همُّهُ أنْ لا تتوقفَ حسناتهُ من بعد موته .. {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ الله إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ..

ويا ابن آدم عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، وكما تدين تدان ..

اللهم صل محمد..